طه السماوى

مرة أخرى يعيد التاريخ نفسه.. جماعة تنشق عنها جماعات.. وأتباع لايرتضون لأنفسهم إلا أن يكونوا زعماء.. ومثلما حدث مع الخوارج من قبل فانشق عنهم الأزارقة، النجدات والعجاردة والثعالبة والميمونية.. خرج من ثنايا جماعة التكفير والهجرة (السماويون والشوقيون والناجون من النار) فرق تكفيرية تؤمن بأن التغيير لن يتم إلا بإسالة الدماء فى مجتمع كل من فيه كافر ماعداهم.. أعطوا أنفسهم الحق باقتحام القلوب والتنقيب فيها وأطلقوا أحكامهم بإنهاء حياة من حكموا عليه بالكفر.. وفى سبيل ذلك استحلوا لأنفسهم الكثير.. فسروا الآيات حتى توافق آراءهم.. وافتروا على أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) .. وصنعوا لأنفسهم زعامات وهمية.. مالبث أتباعهم أن اكتشفوا زيفهم وخداعهم.. فانقلبوا عليهم وفضحوهم.

وكان زعماء تلك الجماعات بعضهم شباب متحمس وآخرون غامضون تملؤهم الأوهام ولكن كلهم كان لهم تأثير هائل على أتباعهم.. كانوا يخلطون الأوراق ويؤثرون فى شباب صغير السن ليس لديهم خلفية دينية كانوا يبهرونهم بمظاهر الزهد والتقى التى كانت غالبا ما تخفى وراءها رغبة فى الوصول إلى الزعامة.

. وكان عبد الله أحمد السماوى، أو طه السماوى كما أطلق على نفسه، واحدا من هؤلاء، كان ضخم الجثة فارع الطول له صوت جهورى ينفذ إلى قلب من يستمع إليه ونظرات ثاقبة تتكسر أمامها عيون السذج والبسطاء يمتلك البلاغة والخطابة وتاريخا طويلا داخل السجون والمعتقلات وقدرة على إثارة إعجاب مستمعيه بما يوجهه من نقد لاذع إلى الحكومة والمسئولين بجرأة شديدة وذكاء فى لى الحقائق وتوظيفها لصالح دعوته.. كان واحدا من سكان زنزانة (المكفرة) فى ليمان طره

سجن فى ضواحى القاهرة وصديق شكرى مصطفى ورفيق دعوته ولكنه انشق عنه ليكون جماعته فلا توجد جماعة تحتمل زعيمين فهو لم يكن أبدا يقبل أن يكون تابعا لشكرى فهو أيضا زعيم ولكنه زعيم شديد الخطورة، وضع (دستور الاستحلال) الذى أخذت به كل الجماعات التكفيرية التي جاءت من بعده وهى نظرية شديدة الخطورة كانت بمثابة الضوء الأخضر للفساد والزيف والموت.

ولد السماوى فى قرية درنكة بمحافظة أسيوط عام ١٩٤٦ حصل على الثانوية العامة والتحق بمعهد إعداد الفنيين التجاريين، بدأ بصعيد مصر نشاطه الدينى بالانضمام إلى جماعة التبليغ! واعتقل فى الستينات دخل معتقل طرة مع الإخوان المسلمين وعمره أقل من عشرين عاما.. كان دائما يشعر أنه شخص مختلف صنع لنفسه هيئة خاصة به.. كان يرتدى الملابس العربية القديمة كما لو أنه خرج من أحد المسلسلات التليفزيونية الدينية كما وصفه أحد زملائه فى المعتقل.. تعرف على شكرى مصطفى فى السجن وشكلا معا جماعة المسلمين التى ضمت بخلافهما ثمانية آخرين من سكان زنزانة (المكفرة) تحاورا معا وحاول كل منهما الوصول إلى منصب الأمير الذى لايتسع إلا لواحد منهما فقط فاختلفا وشكل السماوى جماعته وتبعه عبد الحميد الجمال وخرج شكرى ليؤسس جماعته "التكفير والهجرة" وخرج (السماوى) ليؤسس السماوية وكان شكرى حادا منطويا.. بعكس السماوى الذى لم يكن مستعليا ولا منفصلا بل كان ناعما هادئا.. يجتذب إليه الشباب بحديثه وبلاغته.. ما إن يدخل عليه أحد من الشباب حتى يدعوه للوضوء والصلاة ثم يتدرج فى حديثه حتى يصل إلى تكفير المجتمع ثم يطالب الشاب فى النهاية إذا كان موظفا وقبل أن يبايعه «أعطنى استقالتك من الحكومة أهدك إلى طريق الجنة».

عندما خرج السماوى من المعتقل عمل فى تجارة العسل وتأسيس جماعته التى عرفت بالسماوية لتغيير نظام الحكم وإقامة الدولة الإسلامية على أساس أن مصر تعتبر دار كفر ولا تطبق فيها أحكام الإسلام وألف فى سبيل ذلك كتابه "الفيض السماوى" وآخر باسم «من معالم دعوتنا» وقام هو بنفسه بتثقيف أعضاء

جماعته التى أخذت تتسع مع الأيام فى القاهرة والمحافظات الأخرى وكانت جماعته مقسمة إلى مجموعات على رأس كل منها أمير يعينه طه السماوى الذى أصبح أمير عام الجماعة واجتذب السماوى إلى جانب الشباب الجدد العديد من أعضاء الجماعات التكفيرية الأخرى الذين قاموا بمبايعته وتركوا أعمالهم وانضموا إليه بعد أن كان له الريادة فى ابتكار الإمارة وفرض على أتباعه نظام الذمة المالية لأول مرة فى مصر وهى تعنى فرض قيمة شهرية من دخل كل فرد من أعضاء الجماعة ويكون ملزما بأدائها ليخزنها فى بيت المال لتنفق بعد ذلك على فقراء الجماعة ونشط السماوى فى دعوته وانضم إليه مجموعة كبيرة أصبح بعضهم فيما بعد زعماء لجماعات اتخذت من التكفير منهجا لها فكان من أتباعه على فراج وكان زوج شقيقته والذى حوكم فى قضية اغتيال السادات ١٩٨١ وأنور عكاشة الذى حكم عليه بخمسة عشر عاما، فى قضية السادات أيضا وعبد الرحمن لطفى أو «أبو السمح» وهو ابن خالة محمد الإسلامبولى أحد قيادات تنظيم القاعدة بعد ذلك وخالد الإسلامبولى قاتل السادات. وعاصم إبراهيم الضوى المعروف بابو إسحق الذى انشق عليه فيما بعد وكون مع الشيخ نسيم جماعة (الشيخان) وعدلى دياب الذى انشق هو أيضا فيما بعد وكون جماعة صغيرة فى النوبارية اعتزل فيها المجتمع الكافر وأحمد عبد ربه رومية أو أبو حفص وكان اليد اليمنى للسماوى الذى ولاه أمير جماعة دمياط لينشق عليه بعد ذلك ويكون مع عادل عبد الباقى جماعة الشوقيين.

وانضم إليه أيضا (عبدالرؤوف أمير الجيش) أحد أهم وأبرز قيادات تنظيم الجهاد وأحمد سمن الذى كان شديد التأثر بدعوة السماوى وتولى نشر فكره بين العسكريين لإيمانه الشديد بفكرة أن تغير المجتمع وإقامة الدولة الإسلامية لن يتم إلا عن طريق العسكريين وهى نفس الفكرة التى كان يؤمن بها سالم الرحال وكان عماد عبدالعزيز أحد أبرز أعوانه وكان أمير الجماعة فى الزقازيق وانشق عليه فيما بعد لينضم إلى جماعة الشيخان عاصم ونسيم وبعد ذلك ترك تلك الجماعة ليؤسس مع مجموعة أخرى جماعة لحرق أوراق الصحف فى الشوارع.

وكان نصر كروم، الذى اتهم بعد ذلك فى قضية حرائق نوادى الفيديو، واحدا من أتباعه ومعه عشرى محمود إبراهيم، الذى انشق عليه وانضم إلى تنظيم الجهاد والذى حوكم فيما بعد فى قضايا السطو المسلح على محلات الذهب.

كان هؤلاء نجوم تنظيم السماوى وكانوا يقومون بنشر أفكاره فى كافة محافظات مصر وتحولوا فيما بعد إلى قيادات شديدة الخطورة نشطت فى تجنيد الكثير من الشباب البسطاء الذين اتبعوهم وتوسعت جماعة السماوى.. بعد أن وضع لهم نظرية الاستحلال وكان سنده فى هذه النظرية حديثا للرسول "صلى الله عليه وسلم" بعثت بالسيف بين يدى السباع.. وجعل رزقى تحت ظل رمحى.. وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم حشر معهم".

واعتمد فى تفسيره لهذا الحديث من خلال فهمه لابن تيمية وابن رجب الحنبلى وكتب «الحكم الجديد بالإذاعة» وخلاصة تفسير الحديث.

وفسر الحديث بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعث لنشر الدعوة بالقوة وأن المال والرزق لله وحده وقد سخره الله للمسلمين فقط للاستعانة به على طاعة الله فقط لذلك وجب على المسلمين انتزاع مال الله من أيدى المشركين بالقوة وأن الذلة والمسكنة هى مصير المشركين فى الأرض كحكم من أحكام الله عليهم، وعليه فإنه من تشبه بالمشركين سيكون مصيره مثل مصيرهم ولم يكتف السماوى بذلك التفسير وإنما عمل على التمييز مابين أصحابه وأتباعه ومابين غيرهم فأمرهم بارتداء الجلباب القصير وإطلاق اللحى تشبها بالرسول (صلى الله عليه وسلم) والأهم حتى لايتشابه أتباع جماعته بغيرهم ممن يرتدون الملابس العادية.

وهكذا أصبح من حق السماوى وأتباعه، تبعا لمفهومه، الاستيلاء على مابيد الآخرين مما يعيشون فى المجتمع الكافر وتحقيقا لمعتقداته أعلن لأتباعه أن وقت الهجرة قد حان إلى أرض جديدة خالية من الكفر وفيها يبدأ الجهاد والإعداد للعودة من أجل محاربة دار الكفر.

واختار لهم أرض الهجرة بالخطاطبة وكان أحد أقاربه قد سبقه إلى تلك الأرض.. فهاجر السماوى مع أتباعه ووضع يده على ٥٠٠ فدان وأطلق عليها

«أرض السماوى».. وبحماس وهمة الشباب نشط الأتباع لينجحوا فى حفر بئر عميقة وفى خلال أشهر قليلة قاموا باستصلاح حوالى ٢٠ فدانا.. وكانت المسكلات قد بدأت تظهر فى ذلك المجتمع المثالى الخالى من الكفر.. فالسماوى لم يكتف بجماعته وإنما بدأ يدعو لأفكاره بين جماعة قريبه الذى سبقه فى الاستيلاء على قطعة من الأرض مما دفع قريبه للتصدى له والتعدى على أتباعه المقيمين فى الصحراء فالسماوى لم يكن يقيم بينهم بدعوى أنه يعانى حساسية فى صدره وكان يزورهم فقط فى دار الهجرة وهو ماكشف عنه عبد الرحمن إدريس واحد من أتباعه الذين بايعوه حتى أنه كان يطلق عليه فيلسوف الجماعة وانشق عليه وترك بيعته وقال عنه «بايعته فى عام ٧٤ تركت هذه البيعة عام ١٩٧٩ والسبب يعود إلى معرفتى أن من حقى أن أترك البيعة وعشت تلك الفترة مطيعا له حتى أنه كان علينا بعد العزل أن نهجر أهلنا ونذهب إلى القرى والنجوع ونعمل ونترك وظائفنا ونقيم مشروعات تجارية ونساعد البعض على الخروج من مدارسهم والدليل على هذا انضمام طالب بكلية الطب لصفوف الجماعة بعد أن ترك كليته وأيضا ضابط بالقوات المسلحة برتبة رائد قدم هو أيضا استقالته وإن لم يرغمه السماوى على هذا.

ويستمر عبدالرحمن فى رواية ماحدث فى تلك الفترة قائلا: كانت أول خلية مارست فيها الجماعة نشاطها فى كفر أبو هرمس؟ لإقامة المشروعات التجارية واستصلاح الأراضى وعندما ثار أهل الكفر علينا قال السماوى الكفر «كفر ونفاق» وعلينا أن نهجره إلى الصحراء فوجدنا مكانا بالصحراء الغربية علينا استصلاحه وكان يتم هذا بتكتم شديد فى منطقة الخطاطبة ووجدنا هناك جماعة إسلامية أخرى لأحد أقاربه الذى هاجم جماعتنا وثار عليها عندما بدأ طه السماوى يدعو لأفكاره بين جماعة قريبة فثار علينا وحاربنا وتعرضنا نحن وزوجاتنا إلى كثير من الإهانة وكنا نطلق على هذه الأرض "المحبوبة أو المهجر أو المعتزل" وكانت يضم ١٠ أسر تقريبا تتناوب بالحضور لهذه الأرض من أجل متابعة سير الدعوة والاسترخاء والبعد عن المجتمع فى الوقت الذى لايقيم معنا فى هذا المكان السماوى ولكنه كان

يأتى إلينا بين الحين والآخر.

ومع أنهم عاشوا فى مجتمعهم المثالى الذى هاجروا إليه والخالى من الكفر إلا أنهم كانوا يحتاجون إلى المال من أجل معيشتهم وشراء ما يحتاجون إليه ووجدوا أمامهم نظرية الاستحلال التى قام بها السماوى، فكان بعض أعضاء الجماعة من الأسر الثرية يستحلون أموال أسرهم وأقاربهم ولجأ البعض الآخر إلى سرقة ماتحتاج إليه الجماعة وإرساله إليهم فى أرض الهجرة حتى أن أحد أعضاء الجماعة وكان يعمل كهربائيا ويقيم فى منطقة باسوس على أطراف القاهرة.. كان يقوم بسرقة الخراف والماعز ويذبحها ويرسل لحومها إلى السماوى الذى كان يتقبلها قائلا «هذا رزق طيب ساقه الله إلينا».

كما كان بعض أعضاء الجماعة فى دار الهجرة يقومون بسرقة السيارات من المحافظات القريبة منهم وفى بعض الأحيان من القاهرة ويذهبون بها إلى دار الهجرة وهناك يقومون بتفكيك السيارات المسروقة وتقطيعها وبيع أجزائها ودفن الهياكل فى الصحراء وتم الكشف عن تلك الواقعة الغريبة عندما ضبط محمود صالح أحد أعضاء الجماعة متلبسا بسرقة سيارة وكان محمود حاصلا على ليسانس حقوق وعمل موظفا بالشهر العقارى حتى ترك وظيفته من أجل جنة السماوى.

وبدأت المتاعب تقف فى وجه السماوى كاهن التكفير ومبتدع فكر الاستحلال الذى أصبح بعد ذلك دستورا للعديد من الجماعات.. تمرد عليه بعض أتباعه ورفعوا راية العصيان حتى أنهم هددوه بالأسلحة فى أرض الهجرة وطردوه منها بعد أن جردوه من الإمارة عليهم فقد لاحظوا عليه أنه يتحدث كثيرا ولايفعل شيئا وأنه يتظاهر أمامهم بالزهد والورع رغم أنه يعيش حياة مترفة وهو ماكشف عنه فيما بعد تلميذه عبد الرحمن إدريس الذى ظل سنوات وهو يتبعه حتى عرف حقيقته وتركه وقال: كان طه السماوى يحيط نفسه بغموض لامثيل له وكأنه رئيس جهاز المخابرات المركزية الأمريكية وكان يزعم أن جماعته هى أقوى الجماعات ولم يكن يسمح لأحد أن يتدخل فى نظام الجماعة غيره وكان يتظاهر

بالورع والتقوى فتدخل بيته فتجد صالة كبيرة مفروشة بالحصر المتواضعة يستقبل فيها الأتباع ويلقى فيها الدروس أما إذا اطلعت على باقى المنزل كما قدر لى فستذهل فالشقة فاخرة بمعنى الكلمة فيها كل الأدوات العصرية والسجاجيد الغالية والنجف، وهو يأمر بطلاء الشقة مرتين فى العام وبها غرفة مكتبه الفخمة ومكتبته التى تحوى الكتب المجلدة.. ويعقب أنه لم يكن يسمح لأى أحد بدخول شقته.

وبدأت قداسة السماوى تخفت مع الوقت خاصة أنه يتشدق بالجهاد ولايفعل شيئا لهؤلاء الشباب الذين تركوا حياتهم وساروا خلفه وتبين لهم أن السماوى لن يفعل شيئا تحت مسمى عدم الاستعداد وأنه لن يلجأ إلى استخدام القوة حتى عندما فاتحة نصر كروم فى رغبته ومجموعة من الشباب فى استخدام القوة لتغيير المنكر أجابه السماوى أن يحتاط إذا أراد القيام بأى أفعال حتى لا تضار الجماعة نتيجة أفعاله.

وهو ما حدث بالفعل .. شعر الشباب بالضيق الشديد من المجتمع الذى كفره السماوى وأصبح بالنسبة لهم مجتمع جاهلية بعد أن فسر لهم آيات الله لكى تتفق مع آرائه فبعد أن قال لهم إن المجتمع يسىء الظن بالله ويعتمد فى ذلك على الآية الكريمة يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .. وأن تحديد النسل يتم خوفا من الفقر والناس بذلك يعترضون بجاهلية على قدرة الله الرزاق ويأخذ من تبرج النساء حجة أخرى فيقول إن الله تعالى يقول "وقرن فى بيوتكن ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى» وكان شباب الجماعة يتلفتون حولهم فيرون ما يصفه لهم السماوى فأراد معظمهم التغيير كما وعدهم إمامهم فماطلهم وهادنهم فما كان منهم إلا أن انشقوا عليه وسعى نصر كروم ومحمد شرقاوى وأسامة فرج وعدلى دياب وغيرهم إلى تشكيل جماعة تولى إمارتها «أحمد عبد الحفيظ» وكان أحمد طالبا فاشلا لم يستطع الحصول على الثانوية العامة فطالبه والده الذى يعمل منجدا بالعمل معه.. فكان يعمل بعض الوقت فى مهنة أبيه ويقضى معظم أوقاته فى مسجد أنس بن مالك فى منطقة المهندسين فى محافظة الجيزة وانضم إلى

جماعة التبليغ وخرج إلى القرى والنجوع يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى التقى بجماعة طه السماوى وبعدها نصبته الجماعة المنشقة عن طه أميرا لهم بعد أن اتفقوا على فكر الجهاد ومفاهيمه وعلى ضرورة القيام بأعمال إيجابية ضد المفاسد والرذيلة التى تملأ المجتمع وعلاماتها المنتشرة من نوادى فيديو ودور سينما ومسرح ومحال بيع الخمور والكاميرات ورأوا ضرورة العمل على تغيير ذلك الوضع والعمل على تطبيق حكم الله فى البلاد.

وبدأت الجماعة الجديدة فى العمل والتى أطلق عليها فيما بعد «جماعة حرائق نوادى الفيديو» فتم تقسيم الجماعة إلى ثلاث مجموعات على رأس كل منها أمير.

مجموعة مدينة النور بالزاوية الحمراء وأميرها نصر كروم

مجموعة التوفيقية وأميرها أسامة فرج

مجموعة بولاق أبو العلا وأميرها عدلى دياب

وبدأوا فى تنفيذ المخطط فعاينوا الأماكن التى سيستهدفونها وحددوها وهى دار سينما كريم بوسط القاهرة ومحل هورس فيديو فيلم بشبرا ومن البداية اتفقوا على العمل فى المناطق التى يعيشون فيها حتى يطهروها أولا من الفساد ثم ينتقلون إلى تنظيف باقى الأماكن.

وفى فجر أحد أيام شهر أكتوبر عام ١٩٨٥ خرج عدلى دياب ومعه أحمد عبد الحافظ وأسامة فرج وكانوا يحملون آنية مليئة بالبنزين وقاموا بسكب البنزين أسفل باب محل الفيديو بشبرا ثم أشعلوا النيران واختفوا.. وبعدها بعدة أيام تحركت مجموعة أخرى كان فيها أحمد عبد الحافظ وعدلى دياب وقاموا بحرق سيارة شرطة وسيارتين تابعتين لمحافظة القاهرة بشارع الجلاء.

وفى يناير عام ١٩٨٦ تحركت مجموعة أخرى وفجرت سيارة شرطة.. وفى فبراير من نفس العام وقعت أحداث الأمن المركزى فانتهزت الجماعة الفرصة وتحركوا مستهدفين مسرح الهوسابير وراقب بعضهم الطريق بينما قام أحمد عبد الحافظ وأحمد الشرقاوى بتسلق إحدى المواسير وتمكنا من الدخول إلى صالة المسرح ومعهم ثلاثة جراكن بنزين وسكبوها على كراسى الصالة وخشبة المسرح

وأشعلوا النيران فيها وبعد يومين قامت مجموعة أخرى بإحراق ثلاث سيارات للشرطة بينما أشعل بعضهم النار فى سينما كريم ٢ وبعدها بشهر قاموا بإحراق محل خمور.

وأغرى ذلك النجاح الجماعة بتنفيذ مجموعة من العمليات الأخرى وضعوا خططا لها كان منها التخطيط لاغتيال الكاتب الصحفى إبراهيم سعده رئيس تحرير أخبار اليوم وقتها بسبب سلسلة مقالاته «حوار مع متطرف».. ووضعت أيضا خطة لتنفيذ عملية للاستيلاء على سيارة تابعة للجيش محملة بالذخائر أثناء خروجها من أحد المعسكرات بمنطقة المعصرة وكذلك الاستيلاء على أسلحة نارية من جنود الحراسة بسنترال شبرا وبعض محلات الذهب التى يمتلكها مسيحيون فى الزاوية الحمراء.

ولم تكتف الجماعة بعمليات التخريب أو محاولات الاستيلاء على الأسلحة ولكنها انتقلت إلى تحقيق حلم إمامهم الأكبر السماوى فى الاستيلاء على الحكم ومحاولة اغتيال أحمد رشدى وزير الداخلية آنذاك وكذا ورئيس الجمهورية وجاء ذلك فى اعترافات السيد على عبد الله وهو صاحب ورشة خراطة بأنه أثناء وجوده فى منزل طه السماوى حضر شخص من دمياط ودعا السماوى للذهاب معه إلى بلده وحدثه بأنه يعد لقتل اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية باعتباره أحد جنود النظام الحاكم بل إن المتهم نفسه اعترف بأنه قد حضر إليه فى أحد الأيام نصر كروم بورشته ببولاق وتناقشا فى إمكانية اغتيال رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك واقترح إمكانية تنفيذ ذلك من أعلى سطح الورشة أثناء مروره الرئيس لافتتاح أحد المشروعات وقد عدلت الجماعة عن تنفيذ تلك الفكره لعدم توافر الإمكانيات ولشدة الحراسة حول الرئيس.

ورغم النجاح الذى أحرزته تلك المجموعة والتى تعد الجناح العسكرى أو المنفذين أو أدوات طه السماوى لتنفيذ أفكاره ومعتقداته إلا أن وجودها على ساحة الإرهاب لم يستمر طويلا فاختيارهم للمناطق التى بدأوا فيها نشاطهم لتنظيفها وتفجير أماكن الفساد فيها كانت هى أول الخيط الذى قاد رجال الأمن

إليهم بعد أن لاحظوا تكرار حوادث الاعتداء في دائرة جغرافية واحدة.. واستطاعت سلطات الأمن القبض على ٧٥ شخصا من أعضاء الجماعة وقدموا إلى المحكمة العسكرية.